طبيعة الصراع الاقطاعي على الامارة الشهابية
الشيخ بشير جنبلاط انموذجاً

أ.م.د. محمود صالح سعيد يسرى حيدر كاظم خضير

جامعة الموصل / كلية الآداب / قسم التاريخ

(قدم للنشر في ٢٠١٨/١١/٦ ، قبل للنشر في ٢٠١٨/١٢/٤)

ملخص البحث:

عاشت مقاطعات جبل لبنان في العهد العثماني (١٥١٦ – ١٩١٨) في ظل أسترين إقطاعيتين (المعنية والشهابية) قبل أن تشرع الدولة العثمانية في تطبيق اصلاحاتها الإدارية عليه. وقد كان النظام المعمول به في هذه البلاد قبل إدخال نظام القائمقاميتين. ونظام المتصرفية هو النظام الإقطاعي الذي يقوم على أساس وجود أمير إقطاعي كبير مسؤول عن أمراء ومقدمين ومشائخ إقطاعيين مسؤولين مباشرين عن الإقطاعات التي يوزعها الأمير عليهم لقاء مبالغ سنوية يجمعها لإرسالها إلى خزينة الدولة، وهذا النظام المعمول به كان يعرف بأسلوب (إمارة العشيرة)، وهو أحد أساليب الإدارة العثمانية التي تم تطبيقها على الولايات العربية.

والأسرة الجنبلاطية هي واحدة من الأسر الإقطاعية اللبنانية التي التزمت مقاطعات لبنانية عدة وحققت تراكماً مالياً ووجاهة اجتماعية جعلها تتبوأ مكانة كبيرة لدى الإمارة اللبنانية، ولا سيما في عهد الإمارة الشهابية (١٦٩٧ – ١٨٤٢) وبشكل أخص في مدة زعامة الشيخ بشير قاسم جنبلاط (١٧٧٥ – ١٨٢٥) الذي بلغت الأسرة الجنبلاطية في عهده مكانة لا تكاد تنافسها عليه سوى الإمارة الشهابية نفسها.

The Nature of Feudal Struggle About the Al-Shihabiya Princedom
Sheikh Basheer Qasim Junblat as a Model

Abstract:

The provinces of Lebanon Mountain lived under the Ottoman era (1516 – 1918) under the dominance of two feudal families (i.e. Al-Ma'niyya& Al-Shihabiya) before the Ottoman State started off performance of administrative reformation on these territories. The feudalism rule was the activated one in these areas, before inventing the organization of two Kazas. The organization of Sanjak is the feudalism rule which is based on existence of a great feudal prince to be responsible for a group of feudal princes, representatives and tribes leaders who are directly control these feudalities partitioned by the great prince in exchange for annual amounts gained and sent to the treasury. Such a rule adopted then is known as (The Tribe Princedom); as one of the Ottoman administration systems applied on the Arab Provinces.

Among these Lebanese feudal families was the Junblat family who controlled several Lebanese provinces and gained financial accumulation and social nobility. Accordingly, all these achievements made that family accede a great position in the Lebanese emirate, especially at the era of Al-Shihabiya Princedom (1697 – 1842). The golden age of that family was during the leadership of Sheikh Basheer Qasim Junblat (1775 – 1825) in which it acceded a unique position so that no one can absolutely compete it except Al-Shihabiya Princedom itself.

المقدمة

عاشت مقاطعات جبل لبنان في العهد العثماني (١٥١٦-١٩١٨) في ظل اسرتين اقطاعيتين (المعنية والشهابية) قبل ان تشرع الدولة العثمانية في تطبيق اصلاحاتها الادارية عليه . وقد كان النظام المعمول به في هذه البلاد قبل ادخال نظام القائمقاميتين ونظام المتصرفية هو النظام الاقطاعي الذي يقوم على اساس وجود امير اقطاعي كبير مسؤول عن امراء ومقدمين ومشايخ اقطاعيين مسؤولين مباشرين عن الاقطاعات التي يوزعها الامير عليهم لقاء مبالغ سنوية يجمعها لأرسالها الى خزينة الدولة، وهذا النظام المعمول به كان يعرف بأسلوب (امارة العشيرة) ، وهو احد اساليب الادارة العثمانية التي تم تطبيقها على الولايات العربية

والأسرة الجنبلاطية هي واحدة من الاسر الاقطاعية اللبنانية التي التزمت مقاطعات لبنانية عدة وحققت تراكماً مالياً ووجاهة اجتماعية جعلها تتبوأ مكانة كبيرة لدى الامارة اللبنانية ، ولا سيما في عهد الامارة الشهابية (١٦٩٧-١٨٤٢) وبشكل اخص في مدة زعامة الشيخ بشير قاسم جنبلاط (١٧٧٥-١٨٢٥) الذي بلغت الاسرة الجنبلاطية في عهده مكانة لا تكاد تنافسها عليه سوى الامارة الشهابية نفسها . وهذا الأمر جعلها تتطلع للمنافسة على الامارة مما دفع الامارة الى انفجار الصراع بين الاسرة الجنبلاطية والاسرة الشهابية والتي انتهت باندحار الجنبلاطيين وتثبيت الحكم للامارة الشهابية .

وفي هذا البحث محاولة لتسليط الضوء على طبيعة الصراع الجنبلاطي – الشهابي ، وكيف جرى تحول العلاقات بين الاسرتين من تحالف وصداقة الى صراع وقتال سببه الطمع الى السلطة ومحاولة التحكم بمقدرات الجبل وقد انتهى الصراع نهاية دموية باعدام زعيم الجنبلاطيين الشيخ بشير قاسم جنبلاط على يد والي عكا .

ان البحث في طبيعة الصراع على الامارة اللبنانية في تلك الحقبة يأتي محاولة للتأكيد على ان ما يشهده لبنان الحالي من صراعات ومنافسات سياسية لم يكن وليد التاريخ المعاصر إنما يرجع بجذوره الى الحقبة الحديثة من تاريخه ، وما الصراع الذي يشهده الان الا صورة من صور الصراعات التي تحكمت بمصيره في الحقبة الحديثة .

وقد كان للبحث مصادر اصيلة ساهمت بدعم البحث بالمعلومات الضرورية التي كان لا بد منها لاستكماله ، لعل في مقدمتها كتاب المؤرخ اللبناني المعروف طنوس الشدياق (ت ١٨٥٩م) في كتابه (اخبار الاعيان في جبل لبنان)فضلاً عن كتاب المؤرخ انيس يحيى (الشيخ بشير جنبلاط وتحقيق وصيته) وفي

عرض ممتع لطبيعة الصراع مع الامارة الشهابية فضلاً عن مذكرات العقيد البريطاني المقيم في الجبل تشارلس هنري تشرشل Charles .H.Churchell ظفي كتابه (جبل لبنان عشر سنوات اقامة) . وفي الختام اود ان اشير إلى ان هذا البحث هو بالأصل مستل من رسالة ماجستير . أسأل الله العلي القدير ان نكون قد وفقنا في تقديم رؤية واضحة عن طبيعة الموضوع.

ومن الله التوفيق

المحور الأول : طبيعة العلاقة بين الاسرة الجنبلاطية و الاسرة الشهابية

ترجع العلاقة بين الاسرة الجنبلاطية والاسرة الشهابية الى مطلع القرن الثامن عشر حينما شارك الجنبلاطيين الى جانب اسرة ال القاضي في معركة عين دارة سنة ١٧١١م التي وقعت بين الاسرة الشهابية بوصفها زعيمة الحزب القيسي ومحمود بوهرموش ممثلاً للحزب اليماني ، فكان موقف الجنبلاطيين رغم ان المصادر التاريخية لا تشير بالاسم اليهم لكن من سياق الاحداث وتطور الاوضاع يتبين ان الاسرة الجنبلاطية ابلت بلاءً حسناً ، وقد تمت مكافئة الاسر الدرزية على مواقفهم بان ثبتهم الامير حيدر الشهابي (١٧١١–١٧٢٩) على اقطاعاتهم ومن بينهم ال القاضي التي نجح زعيم الاسرة الجنبلاطية انذاك علي بن رباح من الزواج من ابنته . ونتيجة للصلة الوثيقة بين الاثنين جعل ال القاضي يمنح اقطاعاته الى علي بن رباح بعد وفاته لعدم وجود عقب له (١) . كما حاول الامير حيدر الشهابي ان يضعف من مكانة بقية الاسر الاقطاعية الدرزية عبر دعم ترقي ال جنبلاط الى لقب المشيخة ليقف نداً بوجه الاسر الدرزية الطامعة بالامارة (٢) .

ومن هذه الحادثة بدأ نجم ال جنبلاط بالصعود السياسي والاقتصادي ، وأخذت الزعامات الجنبلاطية تنشط في الجانب السياسي والاقتصادي والاجتماعي في جبل لبنان . ففي الجانب السياسي بدأت الاسرة الجنبلاطية بدعم احد المتنافسين على الامارة الشهابية من الامراء الشهابيين انفسهم ، وذلك بترجيح كفة احدهم على الآخر ، وفي الجانب الاقتصادي اخذت الاسرة الجنبلاطية بادارة المقاطعات التي كانت لآل القاضي ونجحوا في تنميتها وتطويرها اقتصادياً ، أما اجتماعياً من خلال ترسيخ علاقاتهم الاجتماعية مع بقية الاسر الدرزية والمارونية عبر سلسلة

---

(١) للتفاصيل ينظر : مسعود ضاهر ، الجذور التاريخية للمسألة الطائفية اللبنانية ١٦٩٧–١٨٦١ ، دار الانماء العربي (بيروت : ١٩٨١) ، ص ٦٠ – ٧٤ .

(٢) المصدر نفسه ، ص٧٥.

من العلاقات والدعم الاجتماعي والاقتصادي لهم لكسبهم الى صفهم ، وهكذا كما يقول مسعود ضاهر : " انتضمت عائلات نكد وعبد الملك وجنبلاط وابي اللمع . . . تباعاً في تحالفات وثيقة مع الشهابيين " (٣) . ومن هذه المعركة – معركة عين داره – بدأت العلاقات الجنبلاطية مع الامارة الشهابية في تطور دائم ، وكان الجنبلاطيون يدعمون الشهابيين على طوال الخط ، لكن تنافس الامراء الشهابيين فيما بينهم صدعت من المواقف الجنبلاطية .

لقد زعزعت التنافسات بين الامراء الشهابيين على منصب الامارة من ثقة الاسر الاقطاعية بهم ، ودفعتهم الى ان يختاروا دعم امير شهابي ضد آخر وفقاً لما تمليه مصالحهم وما يقدمه الامير الشهابي من تنازلات يكونوا هم اسياد الموقف ، ويتحكموا بالامير الذي يقررون تثبيته ، وبالتالي اصبحت الامارة الشهابية شيئاً فشيئاً رهينة لمصالح وقرارات الاسر الاقطاعية بدل ان يكونوا العكس (٤) .

وسوف تتطور هذه المواقف لتصل ذروتها في الصراع بين الامير بشير الشهابي(١٧٨٨–١٨٤٠م) والشيخ بشير جنبلاط (١٧٧٥–١٨٢٥م) ، في محاولة من الامير بشير الشهابي اعادة الهيبة والاعتبار للأمارة وتخليصها من اي التزام تجاه الاقطاعيين .

ثانياً: دور الشيخ بشير جنبلاط في تثبيت الامير بشير الشهابي على الامارة

عاشت الاسرة الجنبلاطية ازهى عصورها في عهد زعامة الشيخ بشير جنبلاط ، حتى لقبه اللبنانيون بـ (عمود السماء)(٥) لقوته وتاثيره الكبير على الاوضاع العامة في جبل لبنان . فمن تكون هذه الشخصية ؟

ولد بشير جنبلاط ونشأ في كنف والده قاسم جنبلاط نشأة فاضلة ، وأخذ عن والده الجرأة والمروءة والكرم (٦) . بدأ أول ظهور له في الشؤون العامة حين اختلف مع والده في دعم الامير بشير الثاني لتولي الامارة عام ١٧٩١م ، حيث رفض الشيخ بشير

---

(٣) المصدر نفسه ، ص٧٦ .

(٤) للتفاصيل حول طبيعة الصراعات بين الاقطاعيين ينظر : سليمان تقي الدين ، المسألة الطائفية في لبنان ، دار ابن خلدون (بيروت : د.ت) ص٣٤–٦٥ ؛ محمود صالح سعيد ، المسألة اللبنانية ١٨٤٠–١٨٦١ ، جبل لبنان في السياسة الاوربية ، مكتبة الميثاق (الموصل : ٢٠٠٩) ، ص٢١–٢٧ .

(٥) سليم هشي ، المراسلات الاجتماعية والاقتصادية لزعماء جبل لبنان خلال ثلاثة قرون ١٦٠٠–١٩٠٠ ، ج١، (بيروت : ١٩٨١–١٩٨٢) ، ص٢٦.

(٦) المصدر نفسه ، ج١ ، ص٢٦–٢٧.

جنبلاط ان يتولى الامير بشير الشهابي الامارة بسبب اثقال الاهالي بالضرائب في حين كان والده يقف الى جانب الامير بشير الشهابي الذي ارسل والي صيدا آنذاك احمد باشا الجزار (١٧٧٤-١٨٠٤) قوات لتثبيت الامير بشير الشهابي على الحكم ، وجرت معارك عدة انهزم خلالها جيش الامير بشير ولم يتمكن من العودة الى الحكم حتى علم ١٧٩٤ حين تخلى الشيخ بشير جنبلاط عن دعم الامير قعدان الشهابي وثبت الامير بشير الشهابي على الحكم [٧] . وهذا مؤشر واضح على دور الشيخ بشير جنبلاط في تثبيت الامارة وحسمها لصالح الامير بشير وسيكون لهذه المواقف تاثير بالغ الاهمية على طبيعة العلاقة بين الشخصيتين .

ومن هذا التاريخ بدأت العلاقة بين الرجلين وطيدة ، وبقي الشيخ جنبلاط اميناً في صداقته مع الامير بشير ودائم الوقوف الى صفه ، فقد وقف الشيخ بشير جنبلاط الى جانب الامير بشير في اصعب المواقف واحرجها فعندما كان يستبدل الامير او يسجن او يضطهد من الولاة العثمانيين كان الشيخ بشير يسانده ويشد ازره بما يمتلك من نفوذ قوي وثراء واسع واصالة في الرأي ، بل ان الشيخ بشير جنبلاط كان في احيان كثيرة يسجن معه اذا سجن ويشرّد إذ شرد وكانت دور ال جنبلاط تهدم وتنهب وتحرق ويتم مصادرتها بسبب مواقف الشيخ بشير المساندة للأمير بشير الشهابي [٨] .

كان الامير بشير الشهابي على علم بفضل الشيخ بشير جنبلاط في توليه الامارة سياسياً ومالياً ، فكان على وئام معه وتفاهم عميق ، ولم يكن الامير يتخذ اي قرار ، ولا يقدم على اية خطوة مهمة إلا بمشورة الشيخ بشير جنبلاط اعترافاً بفضله ، واستقواء بزعامته وماله ورأيه ورجاله ، وهذا الواقع دفعت احد الرحالة الى القول بأن سلطة الامير لا تعدو كونها مجرد ظل ، أما السلطة الحقيقية فهي في يد الزعيم الدرزي الشيخ بشير ، وكان العامة في لبنان يرددون دائماً : (الصيت لأبو سعدى والفعل لأخو عدلا _ يعني الشيخ بشير جنبلاط –[٩] .

ثالثاً : تدهور العلاقة وبداية الصراع

ضاق الامير ذرعاً بقوة الشيخ بشير جنبلاط وقوة نفوذه وكان يرغب بالاستقلال في الحكم وتقوية مركزه ، ووجد ان الشيخ بشير يشكل تهديد لطموحه في الانفراد بالحكم ، ولم يكن للامير من القوة والمال ما يكفي لتحقيق ذلك قرر اتباع طريق الدسائس والايقاع

---

[٧] محمد خليل الباشا ، معجم أعلام الدروز في لبنان ، المجلد الاول ، الدار التقدمية (الشوف : ٢٠١٠) ص٣٢٥-٣٢٦

[٨] الباشا ، المصدر السابق ، المجلد الاول ، ص٣٢٧ .

[٩] نجلاء ابو عز الدين ، الدروز في التاريخ ، (بيروت : ١٩٨٥) ، ص٢٨٩ .

بمختلف القوى الاقطاعية من أجل اضعافهم والاستحواذ على املاكهم ، وفي هذا السبيل اخذ باثارة النزعات الحزبية والدينية فيساند فئة على حساب الفئات الأخرى ، فبدأ بضرب النكديين (١٠) بيد الجنبلاطيين حيث نجح الامير بشير بشق صفوف الدروز حين اشرك الجنبلاطيين بمذبحة النكديين عام ١٧٩٧ ، مما اضرت كثيراً بالعلاقات الداخلية بين الاقطاعيين الدروز وهددت السلم الاهلي في جبل لبنان .وكان الشيخ بشير جنبلاط طيلة هذه المواقف الى جانب الامير الشهابي يسانده ويدعمه مالياً وعسكرياً (١١) .

بعد ان تمكن الامير بشير من اضعاف كافة القوى الاقطاعية واصبح هو الحاكم دون منازع ، وكل ذلك بالتعاون مع الشيخ بشير جنبلاط ، جاء دور الشيخ جنبلاط واخذ يحاول انتهاز الفرصة لتوتير العلاقة معه ، فاعلن عن استياءه من بناء جامع المختارة ، واتهمه بانه يحاول التقرب من الولاة العثمانيين وكسبهم الى صفه من اجل تسهيل مهمة استيلاءه على الحكم ، من جهة اخرى اخذ الامير بشير بالتقرب من الاسرة النكدية وحاول توحيدها وتقويتها تمهيداً لضرب زعامة الجنبلاطيين (١٢) .

وفي عام ١٨١٩ تولى عبد الله باشا ولاية عكا ومن أجل تثبيت الامير بشير الشهابي على الحكم طالبه بمبالغ اضافية ، وقد حاول الامير بشير ان يجمعها بالقوة ولكن دون جدوى ، اذ انتفضت الاهالي في كسروان وجبيل وجبة بشري وامتنعوا عن اداء الضرائب وكادت الهزيمة تلحق به لولا مساندة الشيخ بشير جنبلاط له وانقاذه ، وفي عام ١٨٢١ ، ساءت الاوضاع لدى الامير بشير بسبب الخلاف الذي حصل بين والي صيدا عبد الله باشا ووالي دمشق درويش باشا حيث تحرج موقف الامير عندما انحاز الى عبد الله باشا اذ غضبت الدولة العثمانية على الوالي وطلبت من والي دمشق الذهاب لتولي ولاية صيدا ، وقد حاول الامير الهرب الى كسروان لكن الشيخ بشير نصحه بالسفر الى مصر ويطلب من باشا مصر محمد علي (١٨٠٥–١٨٤٩) التدخل والتوسط لتسوية

---

(١٠) ال نكد : اسرة عربية سكنت نواحي حلب وانتقلت الى الشوف وسكنت بعقلين أخذت منطقة المناصف من بني حمدان بقيت سلطتها على هذه المناطق حتى عام ١٨٦١ ثم انتقلت الى الشحار تعرضت الاسرة للنكبة على يد الامير بشير الشهابي الثاني والشيخ بشير جنبلاط – سيأتي ذكرهما لاحقاً – سنة ١٧٩٧كانت ثروتهم تاتي بعد ال جنبلاط اشتهروا بالشجاعة والأنفة ابرز زعماءهم بشير وناصيف وحمود وعادل نكد . ناصيف اليازجي ، رسالة تاريخية في احوال جبل لبنان الاقطاعي ، تحقيق : محمد خليل الباشا و رياض حسين غنام ، دار معن ، (د.م : د.ت) ، ص١٣–١٤

(١١) الباشا ، المصدر السابق ، المجلد الاول ، ص٣٢٧–٣٢٨

(١٢) المصدر نفسه ، المجلد الاول ، ص٣٢٨ .

اوضاعه واقترح ان يتم تعيين الامير عباس الشهابي مكانه فترك البلاد بيد الامير عباس اسمياً لكن الفعل والتدبير كان بيد الشيخ بشير جنبلاط ، وهناك اتصل الشيخ بشير بوالي دمشق درويش باشا وحاول استرضاءه ودفع له مئتي الف قرش وتعهد له بنفقات جيشه اثناء مرورها بلبنان لكي لا تثقل على السكان ، وطلب تثبيت الامير عباس اميراً على لبنان ووضع ابنه نعمان جنبلاط رهينة عنده ، فما كان من درويش باشا الا اجابة طلبه (١٣) .

وبذلك خلا الجو لمصلحة الشيخ بشير جنبلاط لفترة ليست بالطويلة ، إذ سيتمكن الامير بشير من توطيد علاقته بوالي مصر والحصول منه على دعم غير محدود جعلته يعود اميراً على الجبل لتبدأ مرحلة جديدة من العلاقة بين البشيرين .

رابعاً : الصراع بين البشيرين

فور عودة الامير بشير الشهابي الى جبل لبنان في أيار / مايس ١٨٢٣ بدعم واضح من والي مصر ووالي صيدا حتى وجد نفسه متحرراً من اي فضل قد يعود للاسر الاقطاعية اللبنانية مدركاً ان عودته للامارة تمت بدعم والييي مصر وصيدا وان ليس للاقطاعيين الدروز ولا للشيخ بشير يد في ذلك ، فضلاً عن ذلك وجد في قيام الشيخ بشير باسترضاء والي دمشق درويش باشا سحباً للبساط من تحت تحته لذلك قرر انهاء دور الشيخ بشير جنبلاط السياسي (١٤) .

كانت اولى تلك الخطوات اتهام الشيخ بشير بالتآمر عليه مع عباس الشهابي اثناء هروبه ودفع الاموال لوالي دمشق للحيلولة دون عودة الامير بشير الشهابي (١٥) . فطلب في البداية من الشيخ بشير جنبلاط تادية مبلغ كبير من المال بحجة نفقات للعساكر العثمانية بأمر من والي صيدا لكنه كان يرمي من وراء ذلك استنزاف خزينة الشيخ بشير جنبلاط وافراغها من الاموال اللازمة من اجل اضعافه مادياً (١٦) . أستمر الامير بشير بمضايقة الشيخ بشير جنبلاط ومطالبته بالمزيد من الأموال ، عندئذ ادرك الشيخ اهداف الامير

(١٣) الباشا ، المصدر السابق ، المجلد الاول ، ص٣٢٩ .

(١٤) حيدر أحمد الشهابي ، تاريخ الامير حيدر ، تحقيق مغبغب (مصر : ١٩٠٠) ، ص٩٤٩-٩٥٠ .

(١٥) عباس ابو صالح ، الصراع على السلطة في لبنان في القرن الثامن عشر ، بحث مستل من المؤتمر للجمعية اللبنانية للدراسات التاريخية ، دار المنتخب العربي (بيروت : ١٩٦٦) ، ص٢٢٥

(١٦) ميخائيل مشاقة ، مشهد الاعيان بحوادث سوريا ولبنان ، (مصر : ١٩٠٨) ، ص٨٩ ؛ يوسف خطار ابو شقرا ، الحركات في لبنان الى عهد المتصرفية ،(بيروت : ١٩٥٢) ، ص١٦-١٧

بشير فقرر التوجه الى راشيا في وادي التيم ([١٧]) وهي واحدة من معاقل الدروز الرئيسية ويملك فيها مساندة ومؤازرة من ابناء طائفته ، ومن هناك شرع الشيخ بشير جنبلاط بتشكيل جبهة مناوئة للامير بشير الشهابي فأخذ ينضم اليه الانصار ولا سيما الامراء الارسلانيين وبعض الامراء الشهابيين امثال الامير عباس الشهابي ، من جانب اخر طلب الشيخ بشير من والي صيدا التدخل للعفو عنه والسماح له بالعودة الى جبل لبنان ([١٨]) .

بعد عودة الشيخ بشير جنبلاط الى مقره في المختارة قرر زيارة الامير في بيت الدين([١٩]) للتخفيف من الاحتقان الذي شاب العلاقة بينهما لكن اللقاء لم يكن مثمراً بل على العكس زاد الوضع سوءاً وتوترت العلاقات بين الاثنين زادت من حدة العداء ، من جهة ثانية زادت الضغوط على الشيخ بشير حين طالبه الامير بالمزيد من الاموال دون اعطاءه مهملة لجمع المبالغ فادرك الشيخ جنبلاط ان ثمة مؤامرة تحاك ضده عندئذ قرر الشيخ اترك المختارة والذهاب الى حوران جنوب دمشق والاحتماء عند القبائل العربية وانتظار الفرصة المناسبة للعودة ([٢٠])

لم يمهل الامير بشير الاسرة الجنبلاطية فاخذ باثقال كاهل الاهالي بالضرائب وفرض غرامات كبيرة على مشايخ الجنبلاطية وحدد لهم مهلة زمنية لأداءها وقرر في النهاية مصادر اراضيهم وتجريدهم من نفوذهم السياسي ([٢١]) . من جانبه اخذ الشيخ بشير بالبحث عن وسطاء للتوسط بينه وبين الامير بشير الشهابي ، فحاول الاتصال بالليدي ايستر استانهوب Easter

---

([١٧]) راشيا : مدينة لبنانية تقع في الجهة الغربية من جبل الشيخ تقع في وسط وادي تتميز بصناعة الفخار وتعد احد ابرز مراكز انتشار المذهب الدرزي . يحيى حسين عمار ، تاريخ وادي التيم والاقاليم المجاورة ، ط١ ، (طنطا : ١٩٨٥) ، ص٤٢٠ .

([١٨]) حيدر الشهابي ، لبنان في عهد الامراء الشهابيين ، تحقيق أسد رستم وفؤاد افرام البستاني ،ج٣(بيروت : ١٩٦٩) ، ص٧٤٧-٧٤٨ و ص٧٥١؛
William Polk, The opening of south Lebanon 1788-1840, (Cambridge; 1963) p.24-25.

([١٩]) بيت الدين ، مقر الامارة الشهابية تبعد عن بيروت ٤٥ كم حيث نقل مقر الامارة اليها من الامير بشير الشهابي الثاني كانت فيها خلوات للدروز شهدت حوادث طائفية خلال المدة ١٨٤٠-١٨٦٠ . للتفاصيل ينظر : معجم اسماء المدن والقرى اللبنانية وتفسير معانيها دراسة لغوي (بيروت : ١٩٧٢) ، ص١٤٥.

([٢٠]) مشاقة ، المصدر السابق ، ٩٤ ؛ انيس يحيى ، الشيخ بشير جنبلاط وتحقيق وصيته ١٧٧٥-١٨٢٥ ، دار الفنون (بيروت : ٢٠٠١) ، ص١٧٥ .

([٢١]) الشهابي ، المصدر السابق ،ج٣ ، ص٧٥٦ .

Stanhope ([٢٢]) لكنها لم تلقَ القبول رغم تأثيرها البالغ ([٢٣]) إذ يبدو أن الامير كان يحظى بدعم من والي صيدا ووالي مصر مما عزز من مركزه وسهل عليه القضاء على الشيخ بشير ، فرفض الامير بشير وساطتها بل والانكى من ذلك انه بدأ بمحاربتها هي نفسها بان منع الزوار من القدوم اليها وتعرض خدمها للضرب على يد اتباعه ([٢٤]) .

التمس الشيخ بشير جنبلاط وساطة والي طرابلس إلا أن وفاته المفاجئة حالت دون نجاحها ، فلم يبقَ للشيخ بشير من بدٍّ سوى اعداد العدة لمواجهة الامير بشير الشهابي فأخذ يوسع من اتصالاته مع الاسر الاقطاعية الأخرى لا سيما في الشوف والمتن وكسروان ([٢٥]) ، وقد كسب الى صفه الحزب اليزبكي المنافس السابق له بعد ان تعهد له بمنحه قرى في سهل البقاع ، كما استمال عدد من الامراء الشهابيين أمثال الاميرين عباس شهاب وسلمان بن سيد احمد الشهابي ومناصريهم ، كما شهدت بعض الاسر اللبنانية انقساماً حاداً بين ابناءه تمثل في انضمام عدد من الامراء الارسلانيين والامراء اللمعيين ومشايخ ال الدحداح مع انصارهم اليه ، بالمقابل ضم تحالف الامير بشير الشهابي القسم الثاني من الامراء اللمعيين وال عبد الملك وال تلحوق فضلا عن البطريرك الماروني يوسف حبيش (١٨٢٣–١٨٤٥) فضلاً عن والي صيدا ([٢٦]) .

وفي هذا الأثناء حصل الامير بشير الشهابي على دعم عسكري من والي صيدا ، فارسل له ثلاثة آلاف مقاتل ومدافع مما

([٢٢]) الليدي استر استانهوب (١٧٧٦–١٨٣٩) نبيلة انكليزية والدها لورد استانهوب شغلت منصب كاتبة وامين سر خالها السير وليم بت رئيس الحكومة البريطانية للفترات (١٧٨٣–١٨٠١) و (١٨٠١–١٨٠٦) زارت الشرق سنة ١٨٠٦ واستقرت في جبل لبنان عام ١٨١٢ حتى وفاتها لعبت دوراً مهماً في الاحداث الطائفية التي اجتاحت جبل لبنان وكانت الى جانب الدروز ضد الموارنة . للتفاصيل ينظر : بول هنري بوردو ، ساحرة الصحراء الليدي استرستانهوب في الشرق ، ترجمة : ازدهار فتوح ومحمد وليد الجلاد ، ط١ ، دار الملاح (دمشق : ١٩٩٢) ، ص٥ .

([٢٣]) محمود صالح سعيد ، النشاط السياسي لليدي استر استانهوب في بلاد الشام ١٨١٠–١٨٣٩ ، بحث منشور في مجلة آداب الرافدين ، جامعة الموصل ، العدد ٦٢ (كلية الاداب : ٢٠١٢) ، ص٢٠٨ .

([٢٤])المصدر نفسه ، ص٢٠٩ .

([٢٥]) أبو شقرا ، المصدر السابق ، ص١١ ؛ أسد رستم ، بشير بين السلطان والعزيز ١٨٠٤–١٨٤١ ، منشورات الجامعة اللبنانية ، (بيروت : ١٩٦٦) ج٢ ، ٢٥٥–٢٥٦ .

([٢٦]) طنوس الشدياق ، أخبار الأعيان في جبل لبنان ، منشورات الجامعة اللبنانية (بيروت : ١٩٧٠) ج١ ، ص١٦٠–١٦١ ؛ ابراهيم الأسود ، تنوير الاذهان في تاريخ لبنان ، الجزء الثاني ، ص٢٧٠ ؛ مشاقة ، المصدر السابق ، ص٩٩ .

رجح كثيراً من كفة الامير ، ووقعت المعركة واستمرت نحو ثلاثين يوماً بدأت في ١٩ كانون الاول ١٨٢٤ وانتهت في ١٩ كانون الثاني ١٨٢٥ واسفرت المعارك عن هزيمة الشيخ بشير جنبلاط ، ولجوءه الى حوران ولما كانت هذه المنطقة تتبع ادارياً لوالي دمشق فقد استسلموا للوالي الذي ارسله مخفوراً الى والي صيدا عبد الله باشا ، الذي حاول في الداية ابقاءه حياً لكنه اعدمهم بما فيهم الشيخ بشير جنبلاط وطرح بجثثهم خارج ابواب سجن عكا في العراء [٢٧]، وقيل ان هذا الاجراء كان بناءاً على توجيهات من والي مصر محمد علي باشا [٢٨] .

خامساً : ظروف اعدام الشيخ بشير جنبلاط

لم يكن اقدام الوالي العثماني على اعدام الشيخ بشير جنبلاط بالأمر اليسير ، إذ ان الشيخ جنبلاط يعد من الزعامات البارزة التي كان لها تأثير بالغ الأهمية على طبيعة الاوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية لجبل لبنان وان اعدامه سيولد نتائج عكسية خطيرة كان الولاة يحسبون لها الحساب ، لكن من جهة ثانية فان ازاحة الشيخ جنبلاط عن المسرح السياسي ، مثّل ازاحة اكبر عقبة بوجه امارة الشهابيين ، وما شكله من مخاطر في سبيل استقرار الاوضاع في الجبل ، إذ أن مكانة الشيخ الجنبلاطي كانت من الخطورة بأنها هددت الاستقرار لهذه المقاطعات وان اشارة منه كان من الممكن ان تخرج هذه المقاطعات جميعاً على سلطة الدولة العثمانية ، من جهة اخيرة فإن اعدامه جاء تأكيداً لزعامة الامير بشير الشهابي الذي اصبح حليفاً أميناً لوالي مصر ، والذي نسي الامير أو تناسى ان الشيخ بشير جنبلاط نفسه صاحب الفضل عليه بارشاده الى والي مصر ليتخلص من عقوبة والي دمشق [٢٩] .

من أجل كل ذلك اكتنفت مسألة اعدام الشيخ بشير جنبلاط كثير من الاخذ والرد ، فقد كان الامير بشير الشهابي ومن أجل تأليب السكان على خصمه بث اشاعة مفادها ان حركة الشيخ بشير جنبلاط انما هدفها ان يسيطر الدروز على الموارنة [٣٠] . فكان هذا من اخطر المداخل التي حاول الامير بشير ان يحصن

---

[٢٧]ابو شقرا ، المصدر السابق ، ١٣ ؛ الكولونيل هنري تشارلز تشرشل ، جبل لبنان عشر سنوات اقامة بين الدروز والموارنة (١٨٤٢-١٨٥٢) ، ترجمة فندي الشعار ، ج٣ ، دار الفارابي (بيروت : ١٩٩٨) ، ٢٨٤-٢٨٥

[٢٨] رستم ، المصدر السابق ، ج٣ ، ص٩ .

[٢٩] للتفاصيل ينظر : رياض غنام ، المقاطعات اللبنانية في ظل حكم الامير بشير الشهابي الثاني ونظام القائمقاميتين ١٧٨٨-١٨٦١ ، بيسان (بيروت : ١٩٩٨) ص٧٨-٩٥.

[٣٠] الشدياق ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص٤٣٣ .

فيها نفسه ويرسخ فيها حكمه عبر زرع بذور الحرب الطائفية ، لكن بسالة الشيخ بشير جنبلاط واستبسال جماعته جعلت الامير بشير ينكفئ الى دير القمر وكادت تسقط لولا تدخل العقال ، وهم فئة علماء الدين عند الدروز ، لأيقاف الحرب ، كما ان والي صيدا عبد الله باشا تدخل بنفسه ، خشية ان تعطي هزيمة الامير بشير الفرصة لوالي مصر بأن يتدخل شخصياً وبالتالي يسيطر على بلاد الشام ، مما أدى الى انقلاب موازين المعركة رأساً على عقب ، واضطر الشيخ بشير وانصاره الى الانسحاب الى حوران ، فبعث عبد الله باشا يطلبهم من والي دمشق ، فقام الاخير بالقاء القبض عليهم وارسالهم الى عكا ([٣١]) .

بطبيعة الحال لم يكن والي صيدا راغباً باعدام الشيخ بشير لأنه كان يدرك اهمية ومكانة الشيخ في جبل لبنان في حفظ التوازن بين اقطاعيين جبل لبنان ، لذا قام في البداية باخراجه من السجن واستدعاه وطيب خاطره واطلق له حرية التجول خارج السجن ، فادرك الامير بشير ما كان يجري في عكا ، فبعث الى مصر يطلب من محمد علي باشا أن يأمر والي صيدا بقتل الشيخ بشير ، وانصاره ، فاستصدر محمد علي باشا فرماناً من السلطان باعدام الشيخ بشير جنبلاط ، فاضطر عبد الله باشا لتنفيذ الامر في ١١ حزيران ١٨٢٥ وكان قد بلغ الخمسين ([٣٢]) .

سادساً : نتائج اعدام الشيخ بشير جنبلاط

قبل ان يتم اعدام الشيخ بشير جنبلاط ، وبعد هزيمته شرع الامير بشير الشهابي باتخاذ تدابير من شأنها القضاء النهائي على قوة الدروز عموماً والاسرة الجنبلاطية بشكل خاص ، وكان من ضمن اولويات سياسته تجاههم هو " قطع آثار الجنبلاطيين " بحسب طنوس الشدياق ([٣٣]) فهدم دورهم وسلب أموالهم وصادر املاكهم واملاك من كان مؤيداً لهم وبعث عساكره فهدموا معقل الجنبلاطيين في المختارة وهدموا جامعها ونقلت حجارته لبناء قصر الامير أمين ابن بشير الشهابي في بيت الدين ، كما هدمت دور آل جنبلاط ، ووضع الامير يده على قسم من املاك الجنبلاط ووزع الباقي على اقاربه ورجاله ، وخصوص مقاطعات ال جنبلاط فقد اعطى مقاطعة الشوفين لمشايخ آل نكد وأمرهما أن يسكناها ليبعدهما عن دير القمر ، واعطى ادراتها الفعلية بيد اتباعه من الموارنة . وأعطى اقليم الخروب إلى آل حمادة ، أما أقليم التفاح

([٣١]) الباشا ، المصدر السابق ، المجلد الاول ، ص٣٣٢-٣٣٣ .

([٣٢]) غنام ، المصدر السابق ، ص٩١-٩٥ .

([٣٣]) الباشا ، المصدر السابق ، المجلد الاول ، ص١٦٢-١٦٣ .

وجبل الريحان وإقليم جزّين فمنحها لأبنه خليل ، وسهل البقاع وزعها على ابنائه الثلاثة (خليل وأمين وقاسم) والعرقوب لأبنه قاسم وأعطى لأحد قادة عساكره الامير بشير ملحم الشهابي مقاطعة الشويفات وآل تلحوق منحهم اقطاع الغرب الذي كان للأمراء الارسلانيين (٣٤) .

تمخضت الاوضاع السياسية في جبل لبنان بعد اعدام الشيخ بشير جنبلاط والقضاء على المعارضة الدرزية الى نتائج جد خطيرة ، فقد ادى ازاحة الشيخ بشير عن الزعامة عملياً إلى ازاحة شبه كاملة لفاعلية الزعامة الجنبلاطية على الجبل لتحل محلها زعامات جديدة يقف في مقدمتها الموارنة كقوة اقطاعية جديدة ، فحتى الزعامات الدرزية المؤيدة للأمير الشهابي لم تكن بالوزن أو الثقل الذي كان يتمتع به الشيخ بشير جنبلاط أو حتى ان يحلوا مكانه في زعامة الاسر الدرزية (٣٥) ويعود ذلك إلى اسباب عدة أبرزها :

- ان اغلب الزعامات الدرزية كانوا تابعين وليسوا انداداً للأمير من حيث القوة أو الامكانات المادية لذلك لم يكترث بهم أو بمصالحهم بقدر ما عاملهم كاتباع مخلصين له ، وكانوا في كثير من الاحيان مضطرين لتقديم تنازلات على اساس ان قوتهم مستمدة من قوة اميرهم (٣٦) .
- مهما بلغت قوة هؤلاء لم تصل الى مستوى قوة الشيخ بشير أو تاثير كارزميته أو حتى امكانياته المادية ، فكانوا اقل منه بكثير لذلك لم يكن لهم تاثير قوي على قرارات الامير بشير الشهابي .
- كانت الامكانيات المادية للشيخ بشير جنبلاط وحسن تصرفه المالي من ابرز سمات قوته ، جعلته يتعامل مع الامير الشهابي بوصفه نداً له ، بل في كثير من الاحيان كان يتفوق عليه في الامكانيات المادية والقوة العسكرية والنفوذ ، فقد قدرت احد المصادر مدخوله السنوي الى

(٣٤) الشدياق ، المصدر السابق ، ج١ ، ص١٦٣-١٦٤ ؛ الباشا ، المصدر السابق ، المجلد الاول ، ص٣٣٤-٣٣٥ .

(٣٥) يحيى ، المصدر السابق ، ص٣٧ .

(٣٦) يوسف ابراهيم يزبك ، " العلاقات بين العائلات الدرزية " مجلة اوراق لبنانية ، المجلد ٢ ، العدد ٥ ، منشورات دار الرائد ، (بيروت : ١٩٨٣) ، ص٤١.

مليون قرش سنوياً جعله الاكثر قبولاً لزعامة الطائفة سياسياً ([٣٧]) .

- وثمة رأي يشير إليه أحد الباحثين بالقول أن هذه الحرب تمثل اول حرب طائفية بين الدروز والموارنة ، ذلك ان الشيخ بشير جنبلاط كان زعيماً حقيقياً للدروز وزعامته تنبع من اصالة متجذرة في اعماق الجبل كما انه تمتع بشخصية قيادية فرضت نفسها بدون تكلف ، من اجل ذلك تبلور شعور لديه باحقيته في زعامة البلاد بل وربما باحقيته لامارتها اكثر من اي زعيم اقطاعي آخر خاصة اذا ما كان من الاسرة الشهابية الطارئة على حكم الجبل والتي لا تربطها بالسكان الا رابطة النسب ، لأن الشهابيين لم يكونوا اصحاب اقطاعات في جبل لبنان انما ورثوا الامارة عن المعنيين بالنسب ، وأن تنصر الامير بشير الشهابي وميله الى الموارنة زاد من استياء الدروز مما اسهمت باندلاع الحرب بين البشيرين والتي كانت بالاساس حرباً طائفية ([٣٨]) .

- على الرغم من ان اغلب الباحثين في تاريخ تلك الحقبة لم يؤلوا تلك الحرب تأويلاً طائفياً إلا ان قراءة مجرى الاحداث وتطورها فيما بعد يثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن الصراع كان طائفياً ، فالأمير بشير الشهابي اراد التخلص من كل الزعامات الدرزية المناوئة له ، فبدأ بتصفية آل نكد ثم تحول إلى آل عماد الذين اضطروا الى الهجرة نحو البقاع ، وأخيراً قرر التخلص من زعامة الجنبلاطيين بعد ان اضحى الزعيم الاوحد القادر على الوقوف بوجه الامير بشير ([٣٩]) .

([٣٧]) يحيى ، المصدر السابق ، ص٣٤ ؛ شوكت آشتي ، الست نظيرة جنبلاط ، دار النهار ، (بيروت : ٢٠١٥) ، ص٤٨ .

([٣٨]) ياسين سويد ، فرنسا والموارنة ولبنان ، تقارير ومراسلات الحملة الفرنسية على سوريا (١٨٦٠-١٨٦١) ، شركة المطبوعات للتوزيع (بيروت : ١٩٩٢) ص١٠-١١ .

([٣٩]) أبو شقرا ، المصدر السابق ، ص ٨ ؛ مشاقة ، منتخبات من الجوائب على اقتراح الاحباب ، منشورات المكتبة البوليسية (لبنان : ١٩٨٥) ، ٩٨ .

- نستنتج من خلال ما سبق ان سياسة الامير بشير الشهابي ولا سيما في صراعه مع القوى الاقطاعية الدرزية انتهج سياسة طائفية ، ليس ايماناً منه بالطائفية إنما محاولة توظيفها لتحقيق اهدافة بالانفراد بحكم الجبل والقضاء على جميع منافسية ، وجعل غالبية الاقطاعيين تابعين له ومنفذين لسياسته .

استنتاجات

بعد الانتهاء من البحث يمكن الخروج بمجموعة من الاستنتاجات التي استنتجها البحث في ثناياه لعل من ابرزها :

- إن الصراع الاقطاعي على الامارة الشهابية كان السمة السائدة والهدف الواضح من خلاله هو الاستحواذ على الحكم والسيطرة على المقاطعات والزعامة لما يدر من مداخيل كبيرة تسهم في تدعيم سيطرة الاقطاعي أو الامير ، وبالتالي فإن صراع البشيرين يندرج ضمن هذا التوجه .

- كانت مقاطعات جبل لبنان تعيش حالة من الصراع على المناصب حتى اربعينيات القرن التاسع عشر عندما قررت الدولة العثمانية تحديث الادارة وفقاً للتنظيمات العثمانية وقد نجحت الدولة العثمانية في النهاية من انهاء حالة الصراع الاقطاعي وتم تحديث الادارة ولا سيما نظام المتصرفية التي استمر حتى عام ١٩١٥ وقضى على الصراع الاقطاعي ، وجعل الاقطاعيين مجرد موظفين لديها بعد ان كانوا يعملون عند الامير الاقطاعي .

– تعد الاسرة الجنبلاطية واحدة من أبرز الاسر الاقطاعية التي كان لها دور متميز خلال حقبة الامارة ، وقد أدى زعاماتها ادواراً سياسية هامة جعلهم في مقدمة الاسر الاقطاعية التي كان لها دور كبير في رسم التوجهات السياسية للامارة الشهابية ولا سيما في عهد الشيخ بشير جنبلاط . ولا تزال هذه العائلة تلعب دوراً مهما على الساحة السياسية اللبنانية حتى بعد الاستقلال وما تبعها من تطورات سياسية .

– كان أخطر النتائج التي افرزتها مسألة الصراع بين البشيرين هو اتخاذها شكلا طائفياً ، ولم يكن هذا نابعاً من طبيعة المجتمع بقدر ما كان خطأ تقدير من لدن الامير بشير الشهابي ، الذي اضطر الى ان ينحى بالصراع منحاً طائفياً كي يتمكن من القضاء على خصمه العنيد .

– كان من نتائج قضاء الامير على الزعامات الدرزية في جبل لبنان أن تزعزعت مكانة الدروز في جبل لبنان وحل الموارنة محلهم في قيادة الجبل ، والاستحواذ على مكاسب كبيرة ابرزها الاقطاعات الواسعة بعد ان تم تهجير اغلب الزعامات الدرزية الى خارج الجبل مما احدث شرخاً في التركيبة المجتمعية للجبل ، ادخلت البلاد بعد ذلك في اتون حرب طائفية استمرت نحو عشرين عاماً منذ عام ١٨٤٠–١٨٦٠ .

– افسحت الصراعات الاقطاعية المجال امام القوى الخارجية ، اقليمياً ودولياً للمشاركة في تاجيج الصراع من اجل الحصول على مكاسب ونفوذ ، فاقليمياً كان لتدخل ولاة دمشق وصيدا ومصر اثر بالغ الخطورة في تهديد السلم الداخلي في الجبل عندما قرروا دعم طرف على حساب الطرف الاخر من الحق ضرراً بالنسيج الاجتماعي ، وقد ادى هذا الامر الى فسم المجال امام القوى الخارجية وتحديدا الاوربية لحذو حذو هذه القوى والدخول بقوى لدعم طرف ضد آخر ولاسيما بريطانيا وفرنسا وروسيا ، حيث قررت بريطانيا دعم الدروز بعد ان وجدت الموارنة في احضان فرنسا في حين لم يجد الروم الارثوذكس بداً من الارتماء في احضان الروس فادى ذلك الى تعميق الصراعات بين مكونات المجتمع اللبناني وهدد وحدته .

- وفي الختام نقول ان ضعف السلطة العثمانية وطمع ولاتها كانت من ضمن العوامل الاخرى التي ساهمت في تاجيج الصراع الاقطاعي في جبل لبنان ، ولم تتدخر جهدا لأثارتها من أجل تحقيق مزيد من المكاسب المالية على حساب المجتمع اللبناني الذي ابتلي بنظام اقطاعي كل همه ممارسة سياسة الاستحواذ على اكبر قدر ممكن من اموال الناس لتعزيز مكانته ونفوذه .